

الاصطياف على شاطئ البحر

أحكام وآداب وفوائد

يحيى نعيم محمد خلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الكون وما فيه أجمعين، باعث الرسل والنبیین، ختمهم بمحمد رحمة بالعالمين.

والصلاة والسلام على معلم المتعلمين، ومرشد الضالين، محمد بن عبد الله الأمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الله تعالى خلقنا لتوحيده وعبادته، والإنسان يحتاج إلى اللعب والترويح عن النفس، والإسلام لم يقف عقبة أمامه، فأباح له اللعب والضحك والمزاح وغير ذلك مما ينضبط بالضوابط الشرعية، بل وحث عليها، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فكان يبتسم ويضحك، ويسابق، ويمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون معه فيحوضون في أيام الجاهلية فيضحكون ويبتسم صلى الله عليه وسلم. وديننا دين الرحمة والعدل فلا يريد منا أن نجلس نهار اليوم وليله في المسجد دون عمل أو سفر، ولا أن نُغمض أعيننا ونُمسك أفواهنا، بل يريد أن نُعطي كل ذي حق حقه بلا إفراط ولا تفريط.

والناس في الصيف عادةً يذهبون إلى شاطئ البحر للترويح عن النفس، والتبرد والاستحمام، وغالباً ما يكون مكتظاً بالناس، فيه الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، فما هي الأحكام والآداب التي يحتاجها من يذهب إلى البحر؟ وكيف يؤدي صلاته؟؟؟ أسئلة كثيرة يحتاجها الناس، وأخطاء عديدة تقع من كثيرٍ من العامة وبعض الخواص.

والبحر فيه من العجائب ما فيه، فسبحان من أمسك السفن على وجه الماء فلا تغرق، وأرسل لها الرياح تسوقها، وسبحان من علّم الإنسان صنعة السفن والبواخر والقوارب،

المبحث الأول: أحكام فقهية شرعية

بداية أخي المكرم - وفقك الله ورعاك - لا بد لك قبل رحلتك البحرية الإمام بما يكفيك من أحكام وآداب وسنن لتكون على بينة من دينك، وقد جمعت لك جملة من الأحكام الفقهية التي يحتاجها المصطاف، ومن ذلك:

مفهوم البحر:

البحر هو الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، وجمعه أَبْحَرٌ وَبُحُورٌ وَبِحَارٌ. وسمي بَحْرًا لملوحته، وقيل: لسعته وانسباطه. وقد غلب استعماله في الماء المالح حتى قل في العذب [لسان العرب (٤١/٤)].

ماء البحر:

اعلم رحمك الله أن ماء البحر طاهر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَاءَهُ نَاسٌ صَيَّادُونَ فِي الْبَحْرِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا أَهْلُ أَرْمَاتٍ [هو خشب يُضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ يُشَدُّ وَيُرْتَبُّ فِي الْمَاءِ. النهاية (٢٦٦/٢)]، وَإِنَّا نَتَرَوُذُ مَاءً يَسِيرًا إِنْ شَرِينَا مِنْهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا نَتَوَضَّأُ بِهِ، وَإِنْ تَوَضَّأْنَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا نَشْرَبُ، أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ فَهُوَ الطَّهْرُ مَأْوُهُ، الْحِلُّ مَبِيتُهُ" [رواه أصحاب السنن وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٧٩)].

فيجوز الوضوء بماء البحر، والاستحمام به، والاعتسال في البحر رافع للجنابة إذا نوى ذلك ولا يجب تدليك الجسم ولكن يُسْتَحَبُّ، والمطلوب هو تعميم جميع البدن بالماء، قال الترمذي - رحمه الله تعالى -: [أكثر الفقهاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم: أبو بكر وعمر وابن عباس لم يروا بأساً بماء البحر] [سنن الترمذي (١٠١/١ - ١٠٢)]، قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -: [البحر لا ينحسه شيء بالنص، والإجماع]. [الفتاوى الكبرى (٢٥١/١)]، ويُقصد بالنص حديث "هُوَ الطَّهْرُ مَأْوُهُ" [١].

البول والغائط:

٤. غض البصر وكف الأذى وغير ذلك من أخلاق حسنة وفضائل كريمة.

والمرأة لها أن تغتسل وتسيح كالرجل مع مراعاتها:

١. إذن زوجها، أو وليها إن لم تكن متزوجة، ولا تخرج إلا بمحرم أو مجموعة من النساء.
٢. خلو المكان تماماً من وجود الرجال الأجانب، ولا يجوز لها خلع الملابس في مكان غير آمن.
٣. لبس ملابس فضفاضة محتشمة لا تصف بشرتها ولا تكشف جسدها.
٤. التزام الآداب والأخلاق، والمحافظة على العبادات.

احتكار أماكن في البحر:

إذا وجدت منطقة في البحر كثيرة السمك والمنافع، فلا يجوز لأحد أن يحميها ويجعلها في ملكه؛ لأن الناس فيها شركاء [الشرح المنع (٨٣/١٠)]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثِ الْمَاءِ وَالْكَأِ وَالنَّارِ" [رواه الإمام أحمد وصححه الألباني].

أما إذا قامت الدولة بتنظيم الشواطئ لصالح الناس فلا بأس وعلى الجميع الالتزام والطاعة.

المبحث الثاني: آداب نبوية

اعلم أرسدك الله لطاعته أنه لا ينبغي لمسلم أن يغفل عن ذكر الله تعالى، وعن التأدب بما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم من آداب حسنة وأخلاق حميدة، لذا أذكرك أخي المصطاف بجملة من الآداب الكريمة استنبطتها من بعض نصوص السنة النبوية الشريفة، منها:

الدعاء إذا ركب السفينة:

ينبغي على المسلم أن يُكثر من الدعاء، وقد ثبت في السنة دعاء لمن ركب دابة، ولا بأس بقول هذا الدعاء إذا ركبت في السفينة، عَنِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَتَى بِدَابَّةٍ لِيُرَكَّبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قَالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ صَحَّكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ صَحَّكَتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ صَحَّكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ صَحَّكَتَ؟ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي" [رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

فلما وصلنا إلى الشاطئ نسيناه
وما سقطنا لأن الحافظ الله

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا
ونركب الجو في أمن وفي دعة

الدعاء إذا وصل جزيرة:

علم رعاك الله أن من السنة عند نزولك منزلاً أن تدعو الله تعالى، عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ" [رواه مسلم]، فإذا وصلت أخي المصطاف جزيرة في البحر فلا تنسى هذا الدعاء.

التستر عند قضاء الحاجة:

ديننا يحث على الستر والأخلاق الحميدة، فعلى المسلم أن يستتر إن أراد قضاء حاجته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبِرَّازَ انْطَلَقَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ [رواه أبو داود وصححه الألباني].

النهي عن قضاء الحاجة في طريق الناس وأماكن جلوسهم:

احذر بارك الله فيك من التبول والتغوط في طريق الناس وأماكن تجمعاتهم، ومن ذلك شواطئ البحار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ"، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ" [رواه مسلم].

ذكر الخلاء:

على المسلم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل أحواله، فإذا أراد دخول الخلاء -كان قضاء الحاجة- أو الخروج منه فعليه أن يدعو بالدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم وللصحابه رضي الله عنهم، عن أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ" [رواه البخاري ومسلم].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْعَائِطِ قَالَ: "عَفْرَانِكَ" [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني].

فإذا كان في البحر يقول دعاء الدخول عندما يريد رفع الملابس لقضاء الحاجة.

وعند انتهائه من قضاء حاجته يقول دعاء الخروج من الغائط إذا بُعدَ من المكان الذي كان يقضي حاجته فيه.

تحريم سب الريح وما يقول إذا هاجت:

هذه الريح من نعم الله على الناس، وقد تحمل بين طباطها الدمار والخراب، قال الله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [سورة الأحقاف (٢٥٠٢٤)] وعند الشدائد أو ظهور علاماتها يتوجه العبد بقلبه إلى الله داعياً مستغيثاً به، فقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم عند اشتداد الريح أن نسأل من أرسلها سبحانه من خيرها ونستعيذ به من شرها؛ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ" [رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح].

إماطة الأذى عن طريق الناس وظلهم:

حافظوا يا من تستمتعون بالرحلات إلى البحر حافظوا على ساحله من تلويثه، أو إلقاء بقايا الطعام والشراب في غير أماكنها المعدة لذلك، بل إن وجدتم غيركم قصر فقوموا أنتم بما يجب عليكم من النظافة، وإماطة الأذى.

فكن لهم كذي الرحم الشفيق

إذا صاحبت قوماً أهل وِدٍ

فتبقى في الزمان بلا رفيق

ولا تأخذ بزلة كل قومٍ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنِ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنِ طَرِيقِ النَّاسِ،

وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةَ السُّلَامِي؛ فَإِنَّهُ يَمْشِي
يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زُحِرَ نَفْسُهُ عَنِ النَّارِ" [رواه مسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت شجرة تؤذي الناس فأتاها رجل فعزلها عن
طريق الناس، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "فلقد رأيتُه يتقلب في ظلها في

الجنة" [رواه الإمام أحمد وقال الألباني: حسن صحيح].

المبحث الثالث: درر وفوائد منتقاة

وفي هذا المبحث ذكرت بعض الدرر والفوائد، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن ينفع بها من قرأها أو سمعها.

- قال الله تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}** [سورة الشورى (٣٢)] أي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده **{الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ}** من السفن، والمراكب النارية والشراعية، التي من عَظَمَها **{كَالْأَعْلَامِ}** وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من التظام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك [تفسير السعدي].

أخي الحبيب لو أمعنت النظر في الآية فستجد أن الله تعالى قال: (في البحر) ولم يقل (على البحر)، أتعلم لماذا؟ والجواب: ليدل على أشياء لم تكن في القلم ووجدت في الحاضر كالغواصات، والغواصة سفينة تسير تحت الماء [القادي به شيخنا ياسين الأسطل - حفظه الله تعالى - عندما قرأت عليه البحث].

- البحر منه ما هو عذب ومنه ما هو مالح، قال الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}** [سورة الفرقان (٥٣)]. أي: وهو وحده الذي مرَجَ البحرين يلتقيان، البحر العذب: وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض، والبحر المالح، وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، **{وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا}** أي: حاجزاً يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها **{وَحِجْرًا مَحْجُورًا}** أي: حاجزاً حصيناً [تفسير السعدي].

- ذكر البحر في القرآن الكريم ٤٠ مرة ما بين مفرد ومثنى وجمع.

- ذكر اليم في القرآن الكريم ٨ مرات، وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر [لسان العرب (٤١/٤)، وفتح الباري (١/٢٠٨)].

- (البحر) صفةٌ لعبد الله بن عباس، وصف بذلك: لسعة علمه، وهو من تقديم الصفة على الموصوف، مبالغة في تعظيم الموصوف، كأنه صار علماً عليه [فتح الباري (٩/٦٥٥)].

- (البحر) محبوسٌ بقدرته الله ومملوءٌ ماء، ويذهب ماؤه يوم القيامة ويصير ناراً [ابن القيم/ البيان في أقسام القرآن (ص: ١٦٤)].

- عرش إبليس على البحر، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبِعُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً" وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبِعُ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ" [رواه مسلم].

ومعناه أن مركزه -أي إبليس- البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض [شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٧) / (١٥٧)].

- من ركب البحر من الأنبياء:

ثبت أن بعض الأنبياء ركب البحر، ومن هؤلاء: نوح وموسى ويونس عليهم الصلاة والسلام.

فنوح عليه السلام صنع السفينة بأمر من الله تعالى، قال تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [سورة هود (٣٧)] ونادى ابنه ليركب معه.... {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [سورة هود (٤٢)].

وألقي موسى عليه السلام في البحر طفلاً بوحي من الله تعالى لأمه فقال سبحانه: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [سورة القصص (٧)]. وبوحي من الله تعالى ضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً، قال تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ} [سورة الشعراء (٦٣)]، وפלقت الله البحر فنجا موسى ومن معه، وأغرق فرعون وجنده، قال سبحانه: {وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ} * ثُمَّ أَغْرَقْنَا

الْآخَرِينَ {سورة الشعراء (٦٦، ٦٥)}، وركب السفينة مع الخضر، قال تعالى: **{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** {سورة الكهف (٧١)} ...

والتقم الحوتُ يونس عليه السلام في البحر، قال الله تعالى: **{فَاتَّقِمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}** [سورة الصافات (٤٢)]. وألقاه إلى البر، قال سبحانه: **{فَبَدَّدْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ}** [سورة الصافات (١٤٥)]. وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، قال سبحانه: **{وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ}** [سورة الصافات (١٤٦)].

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يثبت أنه ركب بحراً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: [ولم يركب النبي صلى الله عليه وسلم البحر ولا أبو بكر ولا عمر] [مجموع الفتاوى (٢١١/٣١٦)].

– من ركب البحر من الصحابة رضي الله عنهم:

وقد ركب البحر الكثير من الصحابة رجالاً ونساءً، جماعات وفرادى، منهم:

قال الإمام أحمد: سمعت من معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر منهم: طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد [ابن القيم/ بدائع الفوائد (٤/٨٧٤)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج أبو طلحة غازياً في البحر، فمات في السفينة، فلم يجدوا له مكاناً يدفنونه فيه، فانتظروا به ستة أيام حتى وجدوا له بعد سبع مكاناً يدفنونه فيه ولم يغير كما هو [الطبراني/ المعجم الكبير (٥/٩٢)].

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال: "حدثني تميم الداري أنه ركب البحر في أناس من أهله، فآلجأهم الريح إلى جزيرة في البحر فإذا هم بدابة أهل، فقالوا: ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة" فذكر حديث الجساسة [رواه الطبراني وأصله في صحيح مسلم].

وممن ركب البحر من الصحابة: العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه كان عاملاً رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حلیم يا علي يا عظیم فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم، فأجيب،

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم؛ ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد [ابن نيمية/ الفرقان (٢٩٢/١)].
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَتَدَرَّتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا، فَتَجَّاهَا اللَّهُ فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ، فَجَاءَتِ ابْنَتْهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا [رواه الإمام أحمد و صححه الألباني].
وكانت أسماء بنت عميس يقال لها البحرية؛ لأنها كانت هاجرت إلى بلاد النجاشي فركبت البحر [زاد المعاد (٣٣٢/٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فُتُطِعُمُهُ، وَكَانَتْ أُمَّ حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةَ بِنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطَعَمْتُهُ، وَجَعَلَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ: فُقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرِضُوا عَلَيَّ عِزَاءً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ نَبِيحَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ" قَالَتْ: فُقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فِدْعًا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فُقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرِضُوا عَلَيَّ عِزَاءً فِي سَبِيلِ اللَّهِ" كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ قَالَتْ: فُقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، قَالَ: "أَنْتِ مِنَ الْأُولِينَ" فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ، فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَضَرَعَتْ عَنْ دَائِبَتِهَا، حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ [رواه البخاري ومسلم].

- أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية كان ذلك في سنة ثمان وعشرين في خلافة عثمان [فتح الباري (١٨/٦)].

- سبب ملوحة ماء البحر وحكمتها:

فسببه: سبوخة أرضه وملوحته؛ فهي توجب ملوحة مائه.

وحكمتها: أنها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة، فإنه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحياناً قتل خلق كثير فإنه يفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير [زاد المعاد (٤/٣٩٤)].

-وفي النهاية:

أخي المسلم - وفقك الله تعالى - أتمنى لك رحلة سعيدة وحياة آمنة مطمئنة، وأذكرك بتقوى الله تعالى وعدم الغفلة عن التفكير في مخلوقات الله تعالى وآلائه:

تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس له شريك

انظر لتلك الشجرة	ذات الغصون النضرة
من الذي أبدعها	من حبة مندثرة
ذاك هو الله الذي	أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة	وقدرة مقتدرة

وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد
فيا عجباً كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد

إنَّ البحر آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته ووحدانيته، وأكثر الناس قرباً من الله تعالى أكثرهم خشية؛ لذا من أراد القرب من الله تعالى فلا بد له من التفكير في آياته وآلائه التي لا تُحصى، فمن ذلك النظر بعين البصر والبصيرة في البحر وما فيه من مخلوقات وعجائب دالة على قدرته عز وجل.

وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج طغى فسئله من الذي أطعك؟

خاتمة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

"فصل ومن آياته وعجائب مصنوعاته:

البحار المكتنفة لأقطار الأرض التي هي خلجان من البحر المحيط الأعظم بجميع الأرض، حتى إن المكشوف من الأرض والجبال والمدن بالنسبة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم، وبقية الأرض مغمورة بالماء، ولولا إمساك الرب تبارك وتعالى له بقدرته ومشيتته وحبسه الماء؛ لطفح على الأرض وعلاها كلها، هذا طبع الماء، وهذا حار عقلاء الطبيعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض مع اقتضاء طبيعة الماء للعلو عليه وإن يغمره ولم يجدوا ما يجيلون عليه ذلك إلا الاعتراف بالعناية الأزلية، والحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك العيش الحيوان الأرضي في الأرض، وهذا حق ولكنه يوجب الاعتراف بقدرة الله وإرادته ومشيتته وعلمه وحكمته وصفات كماله ولا محيص عنه، وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم" [السلسلة الضعيفة (٩/ ٣٨٣)، وهذا أحد الأقوال في قوله عز وجل: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [سورة الطور (٦١)] أنه المحبوس، حكاها ابن عطية وغيره، قالوا: ومنه ساجور الكلب، وهي القلادة من عود أو حديد التي تمسكه، وكذلك لولا أن الله يحبس البحر ويمسكه لفاض على الأرض، فالأرض في البحر كبيت في جملة الأرض، وإذا تأملت عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها وألوانها حتى إن فيها حيواناً أمثال الجبال لا يقوم له شيء، وحتى إن فيه من الحيوانات ما يرى ظهورها فيظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فتحس بالنار إذا أوقدت فتتحرك فيعلم انه حيوان، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله، حتى الإنسان والفرس والبعير وأصنافها، وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر أصلاً، هذا مع ما فيه

من الجواهر واللؤلؤ والمرجان، فترى اللؤلؤة كيف أودعت في كن كالبيت لها وهي الصدفة تكنها وتحفظها، ومنه اللؤلؤ المكنون وهو الذي في صدفة لم تمسه الأيدي، وتأمل كيف نبت المرجان في فعره في الصخرة الصماء تحت الماء على هيئة الشجر، هذا مع ما فيه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه، ثم انظر إلى عجائب السفن وسيرها في البحر تشقه وتمخره بلا قائد يقودها ولا سائق يسوقها، وإنما قائدها وسائقها الرياح التي يسخرها الله لإجرائها، فإذا حبس عنها القائد والسائق ظلت راكدة على وجه الماء، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوْاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } [سورة الشورى (٣٢،٣٣)].

وقال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [سورة الجنانية (١٢)] فما أعظمها من آية، وأبينها من دلالة، ولهذا يكرر سبحانه ذكرها في كتابه كثيراً، وبالجملة فعجائب البحر وآياته أعظم وأكثر من أن يحصيها إلا الله سبحانه، وقال الله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ } [سورة الحاقة (١١،١٢)] " [مفتاح دار السعادة (١/٢٠٤،٢٠٥)].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المحتويات

٣مقدمة
٥المبحث الأول: أحكام فقهية شرعية
١٣المبحث الثاني: آداب نبوية
١٧المبحث الثالث: درر وفوائد منتقاة
٢٢-وفي النهاية:
٢٣خاتمة